المعرب والدخيل في اللغة العربية

الاستاذ المساعد الدكتور مناف مهدي الموسوي*

تاريخ قبول النشر ٢٠٠٩/٣/١٨

مقدمة:

إن عملية التبادل اللّغوي أصبحت من الحقائق الثابتة التي لا غبار عليها نتيجة الاختلاط .

وما من لغة ذات شأن وحضارة عريقة ومكانة تأريخية سامية إلا كانت عرضة لمثل هذا التبادل اللّغوي، لأنّه لا يمكن أن تتم عملية تبادل حضاري من دون تبادل لغوي في الوقت ذاته. فاللغة الانجليزية -مثلا- على قدمها اقتبست آلاف المفردات من اللغات الأخرى ، يقول ستيفن أولمان : " الناس ينظرون إلى الثروة اللفظية لهذه اللغة كما لو كانت مكونة من نصفين: نصف (سكسوني) وآخر (لاتيني) وقد لمسنا بأنفسنا بعض الآثار المترتبة على هذا الوضع عند دراسة المترادفات " (١) .

والعربية - كغيرها من اللغات الحيّة - لجأت إلى الاقتراض اللّغوي من لغات الشعوب التي اتصل بها العرب،وتبادلوا معها البضائع ، وما تحتاج إليه من منتجات زراعية أو صناعية ، كالفرس والروم والأقباط والهنود وغيرهم .

وأكثر المستورد لم تكن له أسماء عند العرب ، فاضطروا إلى استعمال الأسماء التي عرفت بها عند أصحابها ، بعد أن بحثوا في رصيدهم اللغوي عن مقابل لتلك الألفاظ ، فترجموا ما أمكن ترجمته ، كما استخدموا وسائل القياس والاشتقاق والمجاز ، وعندما لم يجدوا ما يناسب تلك الألفاظ من لغتهم حاولوا ما أمكنهم أن يلبسوه حلّة عربية ، فأخضعوه لنظام العربية ، وهذا ما يُطلق عليه المعرّب .

فان لم يغيّروا فيه شيئاً ونطقوه كما هو سُمّي دخيلاً .

وعلى هذا يكون المعرّب: هو اللفظ الذي بدّل فيه بعض أصواته أو غيّرت بنيته ، فابتعد عن صورته الأصلية .

والدخيل: هو الذي ترك عل حاله ، ولم يغيّر فيه شيء .

وهناك من اللّغويين من لا يفرق بينهما ، فيطلق على المعرّب دخيلاً ، وبالعكس . ومن هؤلاء : الجواليقي(٢) والخفاجي(٣) والسيوطي(٤) وغيرهم(٥).

قال السيوطي : " يطلق على المعرّب دخيلٌ ، وكثيراً ما يقع ذلك في كتاب العين والجمهرة وغيرهما " (٦) .

ويفرق بينهما الدكتور حسن ظاظا على أساس زمني لا على أساس لغوي كالتعريف السابق ، فيقول: " اللّفظة الأجنبية التي استعملها العرب الذين يحتج بكلامهم تعتبر من المعرّب حتى ولو لم تكن من حيث بناؤها ووزنها الصرفي ممّا يدخل في أبنية كلام العرب . أما ما دخل بعد ذلك فإنّه يعتبر من الدخيل ، أي الذي جرى على الألسنة والأقلام مستعاراً من اللّغات الأجنبية لحاجة التعبير إليه "(٧).

والذي أراه أنّ الرأي الأوّل هو الأفضل والأنسب لتعريفهما ، أي الرأي الذي يفرق بينهما على أساس لغوي ، أما الرأي الأخير الذي ذهب إليه الدكتور حسن ظاظا والمستند الى أساس زمني لا يمكن الركون إليه إلا بمعرفة تأريخ دخول كل لفظة إلى اللغة العربية ، ومثل هذا ما لا

---

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة.

يمكن تحقيقه ، باستثناء بعض الألفاظ المرتبطة بحوادث معينة أو شواهد محددة ، يمكن بوساطتها معرفة تأريخ دخولها .

كما أن الدكتور حسن ظاظا لم يفرق بين المفردات التي بدّلت العرب بعض أصواتها أو غيّرت بنيتها ، والألفاظ التي بقيت على حالها من دون تغيير يذكر .

لذلك تكون التفرقة بينهما على أساس لغوي أقرب للواقع الذي مرت به تلك الألفاظ .

العوامل التي ساعدت على دخول الألفاظ الأعجمية :

هناك عدة عوامل ساعدت على دخول الألفاظ الأعجمية الى اللغة العربية ، منها:

١ ـ الاحتكاك بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى عن طريق التجارة ، أو نزوح جماعات من العرب للسكن بين جماعات يتكلمون لغة أخرى . وقد نبّه الأقدمون إلى مثل ذلك العامل الذي أدّى إلى تداخل اللغات واقتراض المفردات ، مما سبب رفض اللغويين الأقدمين أخذ اللغة من تلك القبائل المجاورة للأمم الأخرى ، لأنّ اليمن وهي جنوب الجزيرة أفسدت كلام عربه خلطة الحبشة والهنود(٨)... وأما ما والى العراق من جزيرة العرب وهي بلاد ربيعة وشرقي الجزيرة و فأفسدت لغتها مخالطة الفرس والنبط ونصارى الحيرة وغير ذلك.

وهذه الحالة يشرحها السيوطي فيقول : "لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممّن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائرالأمم الذين حولهم ، فإنّه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام ، لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان وإياد ، لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب والنمر . فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان ، لأنّهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم"(٩).

٢- انتشار اللغة العربية في البلاد التي فتحها المسلمون ، ممّا أدّى إلى اقتباس ألفاظ من تلك البلاد المفتوحة ، بسبب الاحتكاك بين لغات المسلمين.

٣- اعتناق غير العرب الدين الإسلامي وانضمام قسم منهم إلى صفوف الجيش الإسلامي سبّب دخول بعض الألفاظ الأعجمية إلى لغة العرب المسلمين .

٤- انتشار الترجمة ، حيث قام المسلمون بترجمة كثير من كتب الفلسفة والفلك والطب والرياضيات الى اللغة العربية ، ممّا سبّب دخول بعض الألفاظ الأجنبية التي لم يجد المترجمون المقابل المناسب لها في اللغة العربية ، وبخاصة في الموضوعات والأشياء التي لم يستعملها أو يسمعها العرب قبل ترجمتها من اللغات الأخرى .

وهناك أسباب أخرى دفعت العرب لاستعمال ألفاظ أعجمية ، فربما استملحوا سماع لفظ لندرته ولصدوره عن قائليه في غير مواضع الجدّ تلطّفاً ، وقد يكون بسبب طرافته أو للقافية ، كما يذكر أبو حاتم ، حيث يقول:

"إنّ رؤبة بن العجاج والعظماء كالأعشى وغيره ربّما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية ، لتستطرف ، ولكن لا يستعملون المستطرف ، ولا يُصرّفونه ولا يشتقون منه الأفعال ، ولا يرمون بالأصلي المُستطرف ، وربّما أضحكوا منه كقول العدوى :

أنا العربيُّ الباكْ

أي النقي من العيوب ."(١٠).

أو يكون الدافع في استعماله هو خفّة اللفظ المستعار وسهولة نطقه ، إذا ما قيس بمرادفه العربي ، كما يشير إلى ذلك الجاحظ في البيان والتبيين ، فيقول : "ألا ترى أنّ أهل المدينة لمّا

نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم لذلك يسمون البطيخ الخربز.. وأهل البصرة القثاء خياراً " (١١) .

ومن يستقصي الألفاظ الأعجمية التي استعملها العرب مع وجود المرادف لها من الكلمات العربية يجد كثيراً منها ، كالإبريق ومرادفه العربي التأمورة ، والنرجس ومرادفه العربي العبهر ...الخ ، وقد تكون خفتها هي السبب في استعمالها بدل الألفاظ العربية .

وأخذت اللغة العربية من كلّ أمّة ممّا عرف عنها ، فمن اللاتينية واليونانية(١٢) أخذت الألفاظ القانونية كالقبان والقانون والقنطار والقسطاس والميل وأخذت من الهندية(١٣) ألفاظاً تدل على طبيعة تلك البلاد ومنتجات أرضها، فأخذت العقاقير والأحجار الثمينة وصناعة السيوف والرماح وبقية آلات الصيد والأصباغ ومصطلحات التجارة والملاحة والسفن وأدواتها، مثل الكافور والفلفل والاهليلج والبهار والارجوان والخيزران ...

وأخذت من الحبشيّة(١٤) ألفاظاً ذات طبيعة دينيّة أو قريبة الصلة بالاسلام في استعمالها في مرحلته الأولى كـ المنبر و الحوارى والمحراب والبركان والنفاق والهرج : وهو القتل .. الخ.

ومن العبرية(١٥) أخذت ألفاظاً لها صلة بالجانب الديني أيضاً كالملكوت والجبروت وكاهن وعاشوراء وبعض أسماء الأنبياء ...

واقتبسوا كلمات مختصة بالزراعة والصناعة والتجارة والملاحة ، وكذا بعض الصناعات التي تتصل بطبيعة الحياة الزراعية والرعوية وما يتصل بالمياه واستخدامها(١٦) .

وكل ما أخذته لا يقدح في عظمتها أو ينقص من قدرها ، فهو بحدود ثلاثة آلاف(١٧) لفظ بينما دخل بقية اللّغات من اللغة العربية ألفاظ كثيرة .

ولم يهتم علماء العربية بحصر الألفاظ الدخيلة والمعربة في اللغة العربية مبكراً ، كما أنهم لم يدرسوها لذاتها ، بل جاء طرف منها عند تفسير بعض الألفاظ في الكتب التي ألّفت في غريب اللغة، كما وردت ضمن الموسوعات اللغوية وكتب علوم القرآن وغريب اللغة ، فأحصوا مجموعة من الألفاظ الأعجمية في فصول منها ، كما فعل ذلك أبو عبيد في الغريب المصنّف، وابن سيده في المخصص ، والسيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن .. وغيرهم ، كما سيتضح فيما يأتي :

أهم المؤلفات في المعرب والدخيل:

لا شك أنّ معرفة أوّل من كتب في المعرب والدخيل عملية شاقة ، لا يمكن الوصول بها إلى نتيجة مؤكدة ويقين قاطع ، ولكن يمكن حصر البوادر الأولى التي وصلت إلينا ، والبحوث التي اختصّت بالحديث عن المعرب القرآني والألفاظ الدخيلة في اللغة العربية حتى الوقت الحاضر ، كما فعل ذلك الدكتور حسين نصار(١٨)، حين ذكر مجموعة من تلك المؤلفات ، وقد فاته بعض منها ، كحاشية ابن بَرى على المعرب ومعجم الدخيل للاستاذ طه باقر وغيرهما ، وفيما يلي قائمة تحوي ما استطعنا التعرف عليه من تلك الدراسات:

ـ كتاب اللّغات في القرآن للصحابي الجليل ابن عباس (ت ٦٨ هـ) رواية ابن حسون طبع بتحقيق صلاح الدين المنجد ط٢.

ـ تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي (ت ١٢٠هـ) ، حققه: الدكتور حسن محمد تقي سعيد الحكيم وعمل معه دراسة حول ظاهرة الغريب في اللّغة ، رسالة دكتوراه قدمت لجامعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٨٧م .

ـ عمل أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٩ هـ) فصلاً من كتابه الغريب المصنّف سمّاه (ما دخل من غير لغات العرب في العربية) وهو قصير بصفحتين .

ـ وأفرد ابن قتيبة (٢٧٦هـ) فصلا من كتابه (أدب الكاتب) لما تكلم به العامة من كلام أعجمي .

ـ ألحق ابن دريد (ت ٣٢١هـ) بابا في آخر كتابه الجمهرة تحت عنوان (باب لما تكلمت به العرب من كلام العجم) حتى صار كاللّغة .

ـ خصّص ابن سيده (٤٥٨هـ) بابين من السفر الرابع عشر من كتابه (المخصّص) للمعرب .

الباب الأول : (باب ما أعرب من الأسماء الأعجمية) .

الباب الثاني : (باب اطراد الإبدال في الفارسية) .

كما ذكر قسماً صغيراً له في السفر السادس عشر تحت عنوان (ومن نادر الأعجمي) .

ـ ووضع أبو منصور الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) كتاباً خاصاً ، يعدّ من أكبرالكتب القديمة التي تعرضت لهذا النوع من البحث . وسمّاه (المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم) .

ـ ووضع ابن برّى (ت ٤٩٩هـ) حاشية على كتاب المعرب للجواليقي عرفت (بحاشية ابن برّى على كتاب المعرب) ذكر فيه تعليقات وتنبيهات وإضافات وشواهد شعرية على بعض الألفاظ التي وردت في كتاب الجواليقي . طبع بتحقيق د.إبراهيم السامرائي سنة ١٩٨٥- بيروت .

ـ ألف عبد الله بن محمد العذري المعروف بالبشبيشى (ت ٨٢٠هـ) كتاباً سمّاه (التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل) .

ـ ووضع أحمد بن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) رسالة في تعريب الألفاظ الفارسية سمّاه (تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية) حققه د. حامد صادق قنيبى، ونشربمجلة اللسان العربي بالرباط العدد (٣٠)،(٣١) سنة ١٩٨٨م.

ـ وعمل شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) كتاباً سمّاه (شفاء الغليل ، فيما في كلام العرب من الدخيل) طبع بعناية محمد عبد المنعم خفاجي سنة ١٩٥٢م بالقاهرة . كما طبع بتحقيق د.قصى الحسين ببيروت سنة ١٩٨٧م.

ـ وعمل السيوطي (ت ٩١١هـ) كتاب (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) طبع بمصر سنة ١٩٨٠م بتحقيق د. إبراهيم محمد أبو سكين ، كما طبع مرة أخرى بتحقيق د. عبد الله الجبورى ضمن كتب (رسائل في الفقه واللغة)طبع ببيروت سنة ١٩٨٢م.

وقد ذكر السيوطي - أيضاً - هذا الكتاب ملخصاً في كتابه الإتقان في علوم القرآن (النوع الثامن والثلاثون) وعنونه بـ (فيما وقع فيه بغير لغة العرب) وذكره مجرداً من الأسانيد والروايات .

ـ وألف السيوطي كتاباً آخر رتّبه على أساس اللغات فبدأ بذكر : (ما ورد في القرآن بلغة الحبشة) ثم (ذكر ماورد في القرآن بالفارسية) ثم (ذكر ما ورد في القرآن بالرومية)...الخ. واعتمد فيه على كتب التفسير والقراءات وعلوم القرآن والحديث والمعرّب ولغات القرآن وغير ذلك . وسمّاه (المتوكلى) لأنه ألفه للمتوكل على الله أحد خلفاء العباسيين بمصر . طبع الكتاب بدمشق سنة ١٣٤٨هـ ثم طبع بتحقيق د. عبد الكريم الزبيدى ، نشر جامعة سبها سنة ١٩٨٦م - ليبيا .

ـ ألف مصطفى المدنى (القرن ١١) كتاباً سمّاه (المعرّب والدخيل) .

وعرفت في العصر الحديث بعض الكتب والرسائل والبحوث التي تهتم وتختص بهذا النوع من الألفاظ ، وأهم هذه الكتب والرسائل ما يأتي:

- صنف القس طوبيا العنيسي الحلبى :

١- كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللّغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه (طبع بالقاهرة سنة ١٩٦٤م).

٢- كتاب نبذة في أصول الألفاظ الساميّة (Etymologie se mitische Roma (1909

- كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة لأدّى شير (طبع في بيروت سنة ١٩٠٨م) رتّب ألفاظه وفقاً لحروفها الأول والثاني والثالث ، معتمداً على الحروف الصامتة من دون حروف العلة.

وصرّح في مقدمته أنّه اعتمد في تأليفه على المعجم (البرهان القاطع) لحسين بن خلف التبريزى في الألفاظ الفارسية ، وفي العربية على المحيط المحيط وأقرب الموارد .

ـ ووضع رشيد عطيّة اللبناني الدليل الى مرادف العامي والدخيل ، طبع بمطبعة الفوائد ببيروت سنة ١٩٨٨م .

ـ صنّف الأب رفائيل نخلة اليسوعى كتاباً سمّاه غرائب اللّغة العربية ، صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤م ، ذكر فيه (٥٢١) كلمة وفي الطبعة الثانية أضاف عدة فصول جديدة ، وتوسع في الأبواب القديمة حتى اشتمل على حوالي (٢٥١٥) كلمة وجعل في آخر الكتاب جدولاً أبجدياً يشير فيه إلى اللّغة التي اقتبست منها الكلمة ورقم الصفحة التي وردت فيها .

ـ معجم عطيّة في العامي والدخيل (طبع سنة ١٩٤٤م) .

ـ ألّف الأستاذ طه باقر معجم الدخيل في اللغة العربية (طبع دار الوثبة، دمشق - بيروت) . تحدث فيه عن (٢٧٦) كلمة رتبها حسب الترتيب الهجائي وعرض لأصول المفردات التراثية في اطارها التاريخي ، بأن مهّد لها بمقدمة تاريخية عن لغات حضارة وادى الرافدين القديمة وصلتها بالعربية ، وباللغات الساميّة وذلك بإرجاع أصول المفردات العربية التراثية إلى إحدى اللّغات التي تكلّم بها سكان العراق القدماء .

ـ وكتب الدكتور فؤاد حسنين علي مقالاً في مجلة كلية الآداب في بغداد عام ١٩٤٨م بعنوان (الدخيل في اللغة العربية) ، ورتّب فيها الألفاظ وفقا لصورتها دون النظر إلى أصالة حروفها ، وزيادتها، ولم يقصر البحث على العربية الفصحى ، بل بحث ألفاظاً عامية أيضاً .

نظرة القدماء في مسألة التعريب:

اختلف اللغويون القدماء في مسألة التعريب وشروطه بين متشدد فيه ومتساهل .

فمنهم من لم يشترط فيه سوى الاستعمال ، فاذا استعمل العرب الكلمة الأعجمية صارت معربة ، سواء ألحقت بأوزان العربية أم لم تلحق.

والى مثل هذا أشار سيبويه ، فقال "اعلم أنّهم ممّا يغيّرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه"(١٩).

وذهب الى مثل هذا الشهاب الخفاجي ، فقال "اعلم أنّ التعريب نقل اللفظ من العجمية الى العربية "(٢٠).

أما الفريق الآخر فيتصدره الجوهرى فيرى أنّ التعريب هو أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على طريقتها وأسلوبها ، فقال "تعريب الاسم الأعجمى أن تتفوه به العرب على منهاجها ، تقول : عربته العرب وأعربته أيضا"(٢١).

رأي القدماء في وجود ألفاظ أعجمية في القرآن:

اختلف أئمة اللّغة العربية في مسألة وقوع ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم .

فقسم يرى أنّه "ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب" فينكرون وقوع ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم ، ومن هؤلاء : الإمام الشافعي(٢٢) (ت ٢٠٤هـ) وأبو عبيدة(٢٣) (ت ٢١٠ هـ) وابن جرير(٢٤) (ت ٣١٠هـ) والقاضي أبو بكر الباقلاني وابن فارس(٢٥) (ت ٣٨٥هـ) .

واستندوا إلى قوله تعالى :"قرآناً عربياً"(٢٦) وقوله تعالى :"ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجميّ وعربيّ"(٢٧).

فقال الشافعي ردّاً على من يقول: إنّ في القرآن غير لسان العرب: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبيّ"(٢٨).

وقال أبو عبيدة : "إنّما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أنّ فيه غير العربية فقد أعظم القول ، ومن زعم أنّ كذا بالنبطيّة فقد أكبر القول"(٢٩).

كما ردّ ابن جرير على من يستشهد بورود الألفاظ الأجنبية في القرآن الكريم بما ذكره ابن عباس وغيره فقال :"ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطيّة أو نحو ذلك ، إ نّما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد"(٣٠).

ويعطي ابن فارس دليلاً آخر على عدم وقوع المعرّب في القرآن ، فيقول :" لوكان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهّم أنّ العرب إنّما عجزت عن الاتيان بمثله ، لأنّه أتى بلغة لا يعرفونها "(٣١).

ونرد على هذا الرأى ، فنقول: إن القرآن نزل بلغة القوم ، واستعمل الألفاظ التي كان يستعملها الناس في ذلك الوقت ، ولو أتى بألفاظ جديدة لم يسمعوها من قبل ، لكان غريباً عليهم ، وبطبيعة الحال ان قسماً من تلك الألفاظ التي كان يستخدمها العرب هي غير عربية استعملها العرب بعد أن وردت إليهم من شعوب أخرى مع الأشياء التي اقتبسوها من تلك الأقوام لظروف مختلفة ، كما سبق الإشارة اليها.

كما يرد أبو بكر بن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ) عمّا يحكيه بعض المفسرين عن مقاتل بن سليمان : "صرهنّ معناه : قطّع أجنحتهنّ ، وأصله بالنبطية : صريه" فيقول : "فان كان أثر هذا عن أحد من الأئمة فانّه مما اتفقت فيه لغة العرب ولغة النبط ، لأنّ الله عزّ وجلّ لا يخاطب العرب بلغة العجم ، اذ بيّن ذلك في قوله جلّ وعلا : {إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون} الزخرف:٣"(٣٢) .

وهناك من المحدثين من أيّد هذا الفريق المنكر لوجود المعرب في القرآن الكريم وهو الشيخ أحمد شاكر في مقدمته لكتاب المعرب للجواليقي .

والقسم الآخر من أئمة اللغة لهم رأى مغاير لما ذهب اليه الفريق الأوّل ، فأقرّوا وجود ألفاظ معربة في القرآن الكريم ، منهم الصحابي الجليل ابن عباس(ت ٦٨هـ) خلال كتابه(اللغات في القرآن) والامام زيد بن علي(ع) (ت ١٢٠هـ) وتظهر وجهة نظره من خلال كتابه (تفسير غريب القرآن) فذكر فيه نحوا من عشرين كلمة من أصول فارسية وهندية وحبشية وسريانية ونبطية(٣٣) وغيرها .

كما نقل عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم قوله: "روى عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنّها بلغات العجم ، منها قوله: طه واليمّ ، والطور والربانيون ..."(٣٤).

وحجة من يرى وجود المفردات الأعجميّة في القرآن الكريم هي "أن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً فالقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية"(٣٥).

واستدلوا كذلك باتفاق النحاة على أنّ منع الصرف في نحو (إبراهيم) للعلمية والعجمة "ويرد هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف كالكلام في غيرها ، موجّه بأنّه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس"(٣٦).

وذهب فريق ثالث إلى موقف وسط بين هذا وذاك ، فصدّق القولين ، وذلك يتمثل برأى أبى عبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ) ، فقال بعد أن مكّن القول بالوقوع عن الفقهاء ، والمنع عن أهل العربية:

"الصواب عندي: أنّ هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربيّة ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الأحرف بكلام العرب ، فمن قال: إنّها عربيّة فهو صادق ومن قال: إنّها أعجميّة، فصادق"(٣٧).

ويتضح من هذا القول أنّ أبا عبيد قد حاكى الواقع الذي عاشته القبائل العربية ، حيث لا يمكن نكران اختلاط العرب بغيرهم، ولا غضّ الطرف عن مجاورتهم لأصحاب اللّغات الأخرى وهذا الاختلاط والمجاورة لابد أن ينتج عنهما أخذ وعطاء للألفاظ التي ليس لها نظير مناسب لدلالتها في اللّغات الأخرى .

ويرى أبو عبيد أنّ الفريقين - المؤيد لوجود المعرّب في القرآن والمنكر له - مصيبان ، ويعلّل ذلك بقوله: "إنّ هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل فقال أولئك على الأصل ثم لفظت به العرب بألسنتها ، فعرّبته ، فصار عربياً بتعريبها إيّاه ، فهي عربيّة في هذا الحال ، أعجميّة الأصل"(٣٨).

وقد أيّد قول أبي عبيد ، الجواليقي(٣٩)وابن الجوزى(٤٠) وأبو منصور الأزهري ، حيث قال الأخير: "إن الاسم قد يكون أعجميّاً فتعرّبه العرب فيصير عربيّاً"(٤١).

ومن المحدثين الذين ذهبوا إلى رأي أبي عبيد الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه فصول في فقه اللّغة(٤٢) فقد انتقد حماس الشيخ أحمد شاكرللرأي الأول ، واختار - وهو محق - الرأي المعتدل الذي ذهب اليه أبو عبيد وغيره من الأعلام ، لأنّه أقرب إلى التصديق من غيره بسبب محاكاته للواقع والظروف التي مرت بها اللّغة العربية .

ومن أمثلة ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظٍ نالها حظٌ من الاختلاف حول تأصيلها وتعريبها ما يأتي :

١- الأبّ :

قال تعالى :"وفاكهة وأبّا "(عبس:٣١)

كلمة معربة ، اختلف العلماء حول أصلها قال ثعلب : (الأبّ) كل ما أخرجت الأرض من النبات ، والأصل فيها هجاء واحد أي (أبْ) وهو آخر ما تكون عليه اللفظة وهذا ما يدل على قدمها قال الفرّاء الأبّ : المرعى المتهيِّء للرعي والجزّ من قولهم أبّ لكذا : أي تهيء (٤٣). قال الزجّاج : الأبّ : جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية وذكر السيوطي أنه الحشيش بلغة البربر(٤٤).

وقال الكرملي : الكلأ الذي تعتلفه الماشية . ومنه فلان راع له الحبُ وطاع له الأبُّ أي زكا زرعه واتسع مرعاه . وهو للدواب كالفاكهة للانسان . فشهر آب أصله أبّ أي شهر الفاكهة والحبّ من (الأبّ)(٤٥) .

ويرى رفائيل نخلة اليسوعي أن الأبّ : ثمرة من (e'bo) كلمة مقتبسة من الآرامية(٤٦).

٢- الأبريق :

قال تعالى : " ويطوف عليهم ولدانٌ مخلَّدُون بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من معين" (الواقعة :١٨) .

الأباريق جمع (إبريق) فارسي معرب عربيته : الثِفال : إناء من خزف أو معدن له فم وعروة وبلبلة فارسي معرب (آبريز) أي ساكب الماء حكى الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية : ٢٤٥ وأبو حاتم الرازي . أنها فارسية .

قال الفرّاء : الكوب ما لا أذن له ولا عروة له والأباريق : ذوات الآذان والعُرا وفي القاموس (مادة برق) : الإبريق معرب (أ ب ر ي) (٤٧) قال الجواليقي : ترجمته من الفارسية أحد شيئين : " إما يكون طريق الماء أو صب الماء على هِينَةٍ(٤٨) . وقال أيضاً إنما هو إبريه وقال رفائيل : آبريز (آب) : ماء و (ريز) جذر.(٤٩)

وقال أدى شير : معناه يصب الماء وهو يطلق بالفارسية على الدلو أيضا وكأس الحمام والسطل غير ذلك مما يعارضها (٥٠).

وذكر أدى شير : في مادة (ابريج) : الابريج المِمْخَضَة يُمخض بها اللبن لاستخراج السمن منها تعريب (آبريز) وأصل معناه يصب الماء ويطلق على الدلو والسطل وغير ذلك ، أقول : ما

زالت لفظة (ابريج) تستعمل في أرياف جنوب العراق ولكنها تطلق على لفظة كلمة (الإبريق) وفي المدن تطلق (ابريك) بالكاف الفارسية ويراد بها الإبريق لفظاً ومعنى .
ونبه ابن منظور على أن إبدال القاف من الهاء في الأسماء المعربة كثير أقول : ورد في المعاجم العربية أنّهم قالوا : بَرَق الطعام ببرق إذا صبّ منه الزيت والبريقة هي اللبن يصيب عليه الماء فيمكن أن يكون الاناء الذي يصب منه الماء مشتق من ذلك الأصل (برق) فتكون كلمة (الإبريق) من توافق اللغات بين بعض اللغات السامية (العربية والسريانية واللغة الفارسية (٥١).

٣- أريكة :

قال تعالى "على الأرائك مُتكئون " الأريكة : سرير في حجلة والجمع أريك وأرائِك . قال المفسرون : الأرائك السرر في الحجال وقيل هي الأسرة وهي في الحقيقة الفُرش كانت في الحجال أو غيرالحِجال.
وقال الراغب وتسميتها بذلك إما لكونها في الأرض متخذة من أراك وهو شجرة أو لكونها مكاناً للإقامة من قولهم أرَكَ بالمكان أُروكاً وأصل الأُروك لإقامة على رعي الأراك ثم تجوز به في غيره من الإقامات وقال أدى شير : هو السرير المنجّدالمزين تعريب (اورنك) وهو مركب من (آرا) أي زينة ومن (نَيْك) أي جميل .
ونسبه طوبيا العنيسي إلى اليونانية قال : (أريكة) يوناني (ori-koite') ومعناه فراش وفير ومرقد جيد.

كيفيّة معاملة العرب للألفاظ الأعجمية :

اتبع العرب طريقة محددة وأسلوباً خاصاً لتعاملهم مع الألفاظ الأعجمية ، ويتمثل ذلك بالتغييرات التي يجرونها على الألفاظ الأعجمية ، ونال الحرف القسط الأكبر من الاهتمام والمعالجة ، ثم اتسعوا ليشمل التغيير في بنيتها ، وكان سيبويه أوّل من نبّه على البدائل العربية لأصوات الألفاظ الأعجمية ، ومثل لذلك باللغة الفارسية ؛ لأنّها نالت قصب السبق في إعارة ألفاظ كثيرة للغة العربية ، فخصّص باباً من كتابه لذلك ، سمّاه (باب اطراد الإبدال في الفارسية) وجاء فيه "يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً وربما بَعُدَ مخرجاً أيضاً "(٥٢). والسبب في ذلك يتضح من قول الجواليقي (ت٥٤٠هـ) "الإبدال لازم ، لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم"(٥٣) فذكر الجواليقي سبباً صوتياً ليمكن من خلاله معرفة أصالة الكلمة العربية من عدمه .
وقد أيّد البحث الحديث فكرة القوانين الصوتيّة لكونها المعيار الأوّل الذي يحدّد أصالة الكلمة أو عدمها من الناحية الاشتقاقية(٥٤) .
وكما يقول أحد الباحثين : "قد يكون من السهل -الى حد ما- ردّ كلمة معربة إلى مصدرها الأول إذا كان هذا المصدر من عائلة لغوية أجنبية ، أما إذا كانت اللفظة شائعة في لغات العائلة الواحدة فإنّ الأمر عسير جداً"(٥٥).
فالمسألة تنقسم على قسمين :
الأول : هو إذا كانت اللفظة موجودة في اللغات التي تنتمي إلى عائلة واحدة ، وينطبق هذا على اللّغة العربية وشقيقاتها في اللّغات الساميّة ، كالعبرية والآرامية وغيرهما ، وتتضح هذه الصورة بالكلمة العربية (ثغر) وما يقابلها وفق القوانين الصوتية في اللغات الساميّة المختلفة " فالثاء العربية تعبر عن الثاء في اللغة الساميّة الأم يقابلها الشين في العبرية والتاء في الآرامية .

أما الغين العربيّة فيقابلها في الآراميّة والعبرية صوت العين . ومعنى هذا أن المقابل الاشتقاقي المباشر للمادة العربية (ث غ ر) هو (ش ع ر) في العبرية و (ت ع ر) في الآراميّة .

وهذا ما نجده في كلمة (ثغر) العربيّة و (sa‘ar) في العبريّة و (tar‘a) في الآرامية وواضح أن هذه الكلمات من جذر اشتقاقي واحد"(٥٦).

والقسم الآخر هو ردّ الكلمة المعربة إلى أصلها عندما يكون ذلك الأصل لغة أجنبيّة ، أي ليست اللّغتان من عائلة لغويّة واحدة . وينطبق هذا الأمر على اللّغة العربية واللّغات غير الساميّة التي تأثرت بها ، كاللّغة الفارسية مثلاً ، ويتضح بالإبدال الحاصل في الأصوات التي ليست من حروف العربيّة ، فيبدلون تلك الأصوات بغيرها . والتغيير الآخر هو الحاصل في بنية الكلمة وإلحاقهم إيّاه بأبنية العربيّة ، وفيما يلي التفصيل :

أولاً: التغيير الحاصل في الأصوات :

ويكون كما يأتي :

١ ـ "يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم : الجيم"(٥٧) .

ويعلّل سيبويه سبب ذلك بقرب المخرج فيقول :"لقربها منها . ولم يكن من إبدالها بُدٌّ ؛ لأنّها ليست من حروفهم"(٥٨) ومثال ذلك (الآجر) و (الجورب)

فالجيم فيهما لم تكن تنطق جيماً خالصة كما ينطقها العرب ، بل كانوا ينطقونها بين الجيم والكاف (كـ) ، أي كافاً فارسية فغيّره العرب "ربّما جعلوه جيماً وربما جعلوه كافاً وربما جعلوه قافاً لقرب القاف من الكاف (كربج) وبعضهم يقول (قربق)"(٥٩) .

ويرى المحدثون(٦٠) أنّ نطق الجيم - بين الجيم والكاف - هو الأصل في اللغة الساميّة الأمّ ثم تطورت في العربية الفصحى ، فأصابها ما يسمّى بالتغوير (plataligdion) بأن تقدم مخرجها إلى الأمام حيث الغار (الحنك الصلب) ثم رجعت في بعض اللهجات العربية الحديثة كلهجة القاهرة وعدن إلى الأصل السامي الأول . وهو نطقها من الطبق شديدة مجهورة .

٢ـ يبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم إذا وصلوا الجيم وذلك (كوسه) و(موزه) . ويعني هذا أنّهم قالوا (كوسج) و (موزج) . وربّما دخلت القاف عليها كما ذكر سيبويه(٦١) ، فقالوا (كوسق).

وتبع سيبويه في هذه الفكرة كثير من اللّغويين كالجوهري(٦٢) والرازي حيث قال :"من علاماتهم التي فصل بها كلامهم من كلام العجم إدخالهم القاف في آخر الاسم في موضع الهاء كقولهم (الاستبرق) - وهو الغليظ - وهو (استبره) بالفارسية ، وقولهم (يلمق) وهو (يلمه) وإدخالهم الجيم في آخر الحرف كقولهم (موزج) و (ديباج) وهو (موزه) و (ديباه)"(٦٣).

٣ـ ويبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء - أي (P)- فاء وربما أبدلوه باء كما في (الفِرِنْد) وقال بعضهم (بِرِنْد)(٦٤).

وعقّب سيبويه على هذه الحروف التي لا يطرد فيها البدل ، وإنّما حدث إبدال في بعض الألفاظ الفارسية عند تعريبها ، فذكر السين في (سراويل) والعين في (إسماعيل) ، فقال: "أبدلوا للتغيير الذي قد لزم "(٦٥) والأصل فيها (شروال) و(اشماويل)(٦٦)وقالوا للصحراء (دست) وهي بالفارسية (دشت) وعلّل سبب ذلك سيبويه ، فقال "أبدلوا من الشين نحوها - هي السين - في الهمس والانسلال من بين الثنايا وأبدلوا من الهمزة العين ، لأنّها أشبه الحروف بالهمزة"(٦٧) كما أبدلوا اللام من الزاي في (قفشليل) وهي المغرفة وأصلها (كفجلاز) وجعلوا الكاف منها قافاً والجيم شيناً والفتحة كسرة والألف ياء"(٦٨)

ثانياً : التغيير في بنية الكلمة :

تضمّنت الألفاظ الأعجمية التي دخلت العربية أبنية تختلف عن الأبنية الموجودة في اللّغة العربية فربما يغيّر بناء الكلمة إلى أبنية عربية .

قال سيبويه : اعلم أنّهم ممّا يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربّما ألحقوه ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه"(٦٩).

وقال الفراء : "يبنى الاسم الفارسي أيّ بناء كان إذا لم يخرج عن أبنية العرب"(٧٠).

كما ذكر سيبويه(٧١) - وردّده من بعده الجواليقي(٧٢)- أن ما ألحقوه ببناء كلامهم كـ(دِرْهَم) ألحقوه ببناء (هِجْرَع). و(بَهْرَج) ألحقوه بـ(سهلب). و(دِينار) ألحقوه بـ(دِيماس)(٧٣).

"وربما حذفوا كما يحذفون في الإضافة ، ويزيدون كما يزيدون فيما يبلغون به البناء وما لا يبلغون به بناءهم"(٧٤).

وممّا زادوا فيه من الأعجمية ونقصوا (ابريسم) و (إسرافيل) و (فيروز). وممّا تركوه على حاله ، فلم يغيّروه (خراسان) و (خرّم) و(كركم)(٧٥).

قال أبو عمر الجَرميّ : "وربّما خلطت العرب في الأعجمي إذا نقلته إلى لغاتها"(٧٦).

وممّا تقدم نفهم أنّ طريقة العرب في تعريب الألفاظ الأعجمية هو تغييرهم لكل لفظة كانت حروفها أعجميّة -أي: الحروف التي لا توجد في العربيّة الفصيحة- فتركوا الأصوات الأعجميّة كما ألحقوا الألفاظ بأبنيتهم ، وهو الأكثر كما أنّهم لم يشترطوا في الصيغ أن تكون عربيّة الأوزان دائماً ، فكان إلحاق الشكل مبنيّاً على فكرة إلحاق المادة الأساسية ، أي حروف الكلمة. ويتضح هذا أيضاً من قول سيبويه حول الأعجمي :

"لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم ، كما يلحقون الحروف بالحروف العربيّة"(٧٧).

ويمكن تقسيم الكلمة المعرّبة التي تكلم بها العرب على أربعة أقسام(٧٨) :

١ـ نوع غيّرته العرب وألحقته بأبنيتها في الوزن كـ(دِرْهَم) الذي ألحقوه بـ(هِجْرع). والدرهم أصله (دَرْم) ، فغيّر بزيادة الهاء إلحاقاً له بصيغة (فِعْلَل) .

٢ـ نوع غيّرته ، ولم تلحقه بأبنيتها نحو (آجر) .

٣ـ نوع لم تغيّره ، ولم تلحقه بأبنيتها كـ(خراسان). فإنّه لا يثبت به الوزن (فعالان) .

٤ـ نوع لم تغيّره ، وألحقته بأبنيتها كـ(خُرَّم) . ألحقوه بـ(سُلَّم). وكُرْكُم ألحق بـ(قُمْقُم) .

وأفضل الكلمات المعرّبة هي ما وردت في القرآن الكريم وأحاديث الرسول - عليه الصلاة والسلام - والأشعار الجاهلية وما سمع من نثر ممّن يحتج بعربيتهم .

العلامات الدالة على عجمة الكلمة :

تحدث اللغويون عن العلامات التي ترشد إلى الألفاظ الأعجميّة . واستنتجوا أغلب تلك الملاحظات عند مقارنتهم طريقة تركيب الألفاظ العربية بالألفاظ المعرّبة . ومن هذه الملاحظات التي أشار إليها أئمة العربية(٧٩):

١ـ خروج اللفظة عن أوزان الأسماء العربية نحو (إبْرِيْسَم) فإنّ مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي . وليس في كلامهم وزن (فُعَالان) كـ (خُراسان) أعجمية . ولا (فاعيل) ، ولذا قيل (آمين) عبراني. ولا (فِعْلَل) بكسر الفاء وفتح اللام إلا دِرْهَم وهِبْلَع وبِلْعَم وضِفْدَع في لغة ضعيفة(٨٠) .

٢ـ اجتماع الجيم والقاف ، يقول الجواليقي "فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنّها معرّبة" من ذلك (جرندق) و (المَنْجَنِيق) و (الجَوْق) .

٣ـ اجتماع الجيم والصاد في كلمة مثل (صولجان) و(الجُصّ) و(الصَّنْجَة) .

٤ـ وقوع الزاي بعد الدال . من ذلك (المهندز) ، أبدلوا الزاي سيناً ، فقال (المهندس).

٥ـ وقوع الراء بعد النون . من ذلك (نَرْجِس) و (نورج) .

٦ـ أن تكون الكلمة رباعية أو خماسية خالية من حرف أو أكثر من حروف الذلاقة ، مثل (عَقْجَش) و (سفرجل) وحروف الذلاقة هي (مربنفل) .

٧ـ اجتماع الباء والسين والتاء مثل (البستان) .

٨ـ الجيم والتاء لا تجتمعان في كلمة من غير حرف ذولقي ، ولهذا ليست الجبت من محض العربيّة(٨١) .

٩ـ الجيم والطاء لا يجتمعان في كلمة واحدة ، ولهذا كان الطّاجن والطّيجن مولّدَين، لأنّ ذلك لا يكون في كلامهم الأصلي(٨٢) .

١٠ـ لا يوجد في كلام العرب دال بعدها ذال إلا قليل . قال البطليوسي في شرح الفصيح : لذلك أبى البصريون أن يقولوا بغداذ بإهمال الدال الأولى وإعجام الثانية . فأمّا الدّاذى(٨٣) ففارسي لا حجة فيه(٨٤) .

١١ـ جاء في المحكم :"ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية"(٨٥) .

١٢ـ لم يجتمع في العربية سين وزاى ولا سين وذال معجمة إلا في كلمة معرّبة كـ(ساذج) معرّب (ساده) مهملة و(سذام) اسم قبيلة معرّب (سداب)(٨٦) .

بهذه الوجوه يمكن معرفة عجمة الاسم من عربيته كما صرّح به أئمة اللّغة .

وقد نبّه علماء(٨٧)اللّغة المحدثون على أدلة لم يضعها القدماء ضمن الأدلة التي تبين عجمة الكلمة الفارسية ، على الرغم من أنّ قسماً منهم قد فطن إلى بعضها ، من تلك الملاحظات اللواحق المشهورة في اللغة الفارسية (safflexes)، وأهمها:

١ـ اللاحقة (ويه) قال الخفاجي(٨٨) "في سيبويه ونحوه علامة تصغير . قال - يقصد الزمخشرى - في ربيع الأبرار إذا سمّى أهل البصرة إنساناً بفيلٍ وصغّروه قالوا فِيلَوَيْهِ كما يجعلون عمراً عَمْرَوَيْهِ وحمداً حَمْدَوَيْهِ" .

٢ـ اللاحقة (بان) و (ان) وهي لاحقة تدل على الحفظ والحراسة نحو (مرزبان): حارس الحدود ، و(شادروان) حافظ الخيمة أو ستر عظيم يسدل سرادق السلاطين .

٣ـ اللاحقة (جه) (tcheh) وتدل على التصغير نحو (باغ) : حديقة و(بغجه) جنينة أو حديقة صغيرة .

٤ـ اللاحقة (دار) تدل على صاحب الشيء نحو (بازدار) حامل الباز أو الباشق أو الشاهين وهي طيور جارحة يصاد بها .

٥ـ من اللواحق المكانية (ستان) وتعني الأرض أو المكان نحو (باك ستان) الأرض المباركة و(بستان) من (بو): الرائحة و(ستان) المكان أو الأرض كما تدل على الكثرة في بعض الكلمات وتستعمل لاحقة زمانية نحو (تابسان): الصيف ، و(زمستان): الشتاء(٨٩) .

وإذا لم تتوفر أدلة صوتية أو بنائية لمعرفة أصالة الكلمة - عربية أم أعجمية - يمكن اللجوء إلى معطيات حضارية ، أي من خلال احتكاك الشعوب واختلاطها يحدث التأثير والتأثر، ودخول ألفاظ جديدة إلى اللغات المحتكة ، باعتبار أن اللغة وسيلة اتصال بين أبناء تلك الشعوب ، لأنّها أداة يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم وحاجاتهم . "فاذا اتفق لفظان متقاربان لفظاً ومعنى في لغتين وكانت بين أهل تينك اللّغتين علاقات متبادلة من تجارة أو صناعة أو سياسة جاز لنا الظنّ أن أحدهما اقتبست من الأخرى . فإذا كان ذلك اللّفظ من أسماء المحاصيل أو المصنوعات أو الأدوات يرجح إلحاقه باللّغة السابقة إلى ذلك كلفظ (المسك) مثلاً فإنّه موجود في العربية وفي الفارسية وفي السنسكريتية وفروعها .. فإذا عرفنا أنّ المسك يحمل إلى العالم من تونكين وتيبت ، ونيبال والصين وأن الهنود القدماء كانوا يحملون الطيب إلى الأمم القديمة ويمرون بسفنهم ببلاد العرب ، ترجح عندنا أنّ العرب أخذوا هذه اللفظة من الهنود كما أخذها الفرس عنهم ، أو لعلّها انتقلت إلى الفارسية من العربيّة ، لأنّ الفرس يعدونها عربيّة ، كما يعدها العرب فارسيّة.. أو هي في الفارسيّة باعتبارها أنّها فرع من السنسكريتية"(٩٠) .

وهكذا مع بقية الألفاظ التي يمكن أن نتتبّع أصولها ، للوصول إلى حقيقة استعمالها الأوّل. لعلّنا نتوصل إلى نتائج مرضية لبعض منها ، فلكلّ لفظة ظروفها الخاصة التي مرت بها حتى انتقلت إلى الأخرى ، فتحتاج إلى دراية ورويّة ومثابرة في البحث كي يصيب الباحث الحقيقة عند البحث عن أصالتها معتمدا على أدلة علمية مقنعة وبراهين ثابتة .

الخاتمة:

لجأت اللغة العربية كغيرها من اللغات الحية ذات الحضارة العريقة والمكانة السامية بتأريخها القديم إلى الاقتراض اللغوي من لغات الشعوب الأخرى التي اتصلت بها واحتكت معها وتبادلت معها البضائع المختلفة فأخذت من كل أمة ألفاظ ما عرف عنها من منتجات زراعية أو آلات صناعية أو معانٍ روحية .

فأخذت من اللاتينية واليونانية ألفاظاً تتصل بالقانون مثل القبان والقنطار والقسطاس والميل والدرهم والدينار .

وأخذت من الهندية ألفاظاً تتصل بطبيعة تلك البلاد ومنتجات أرضها مثل العاقير والأحجار الكريمة إضافة إلى صناعة السيوف والرماح وآلات الصيد والأصباغ ومصطلحات التجارة والملاحة والنباتات وغيرها مثل الكافور والفلفل والاهليلج والبهار والأرجوان والخيزران .

وأخذت من الفارسية ألفاظاً مختلفة في عصور متعاقبة ، ففي عصر الاحتجاج أخذت أسماء بعض الآنية والمعادن وأنواع الخبز والطهي والطيب والمنتجات الصناعية والشؤون الحربية نحو : البهرمان ، والأرجوان والقرمز ، ومن الرومية أخذت بعض الأسماء نحو(ماريه) ، و (رومانس) ، وبعض أسماء الفواكه كالخوخ والدراقن .

ومن الحبشية أخذت ألفاظاً ذات طبيعة دينية مثل المنبر ، والحواري والمحراب والبركان والنفاق ، والهرج .

وأخذت من العبرية ألفاظاً تتصل بالجانب الديني نحو الملكوت والجبروت وكاهن وعاشوراء فضلاً عن أسماء بعض الأنبياء .

واقتبست من السريان كلمات تتصل بالزراعة والصناعة والتجارة والملاحة وغيرها.

وكان تأثير العربية في اللغات التي احتكت بها قوياً ، فالعربية تغلبت على اللغات الأخرى التي احتكت بها في بعض الحالات بعد صراع طويل لعدة قرون مثلما حدث مع اللغة القبطية في مصر وفي حالات أخرى دخلت ألفاظ من العربية في تراكيب لغات أخرى مثل ما حدث مع اللغة الفارسية ، فكثير من الكلمات الفارسية ترجع إلى أصول عربية على الرغم من أن اللغة الفارسية من عائلة لغوية تختلف عن العائلة التي تنتمي إليها العربية .

فالفارسية ترجع إلى اللغات الهندوأوربية كما حددها ماكس موللر ، والعربية تنتمي إلى اللغات السامية في هذا التقسيم الذي اعتمد على أساس لغوي في تقسيمه يراعي في ذلك الجانب الصوتي أي في استعمال أصوات معينة تنتمي إلى مخارج محددة كما يراعي الجانب الصرفي أي نظام بناء المفردات في أبنية كل مجموعة من تلك المجموعات ، فضلاً عن مراعاة الجانب التركيبي لنظام الجمل لكل مجموعة من حيث ترتيب مكوناتها والرتبة لكل عنصر في الجملة فيها .

وعندما استعمل العرب المفردات غير العربية أدخلوا بعضها في لغتهم اليومية ، فقيل لها "دخيل" ، كما استعملوا ألفاظاً أخرى بعد إجراء تعديلات عليها على وفق منهاج لغتهم في أصواتها وبناء ألفاظها، وأطلق على ذلك "معرب" .

وهو اللفظ الذي بدلت بعض أصواته أو غيرت بنيته على وفق أبنية العرب فابتعد عن صورته الأصلية وقرب من الأوزان المستعملة في كلام العرب .

وقد احترز علماء العربية من أخذ اللغة من القبائل التي تأثرت ألسنتها بألسنة شعوب الأمم الأخرى المجاورة لها التي فسدت ألسنتها بمخالطة الفرس أو النبط أو مخالطة الروم والهنود كما أشار إلى ذلك السيوطي في كتابه (المزهر : ٢١٢/١) .

ومن يستقصي الألفاظ المعربة التي استعملها العرب يجد أن هناك ألفاظاً غير عربية الأصل استعملت مع وجود المرادف لها من الكلمات العربية ، كالابريق ومرادفه العربي التأمورة والنرجس ومرادفه العربي العبهر .. الخ

وان اللغة العربية أخذت من كل أمّة بما عرف عنها من طبيعة تلك البلاد ومنتجات أرضها ومناسبة لما اشتهرت به من صناعات أو منتجات زراعية أو آلات تستعملها في حياتها اليومية .

وكل ما أخذته لا يقدح في امكاناتها وسعة مفرداتها إذ دخل بقية اللغات الأخرى من العربية أضعاف ما اقتبسته العربية من تلك اللغات .

لذلك أصبحت العربية ساحة واسعة استطاعت من استيعاب العلوم الكثيرة في عصور مختلفة بعد ما نزل القرآن الكريم بهذه اللغة التي حوت تلك الألفاظ التي اختلف أئمة اللغة العربية في مسألة وجود ألفاظ أعجمية فيه .

فقسم يرى أنّه ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان عربي ، وينكرون وقوع ألفاظ غير عربية في القرآن بحجة أنه لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم أن العرب إنما عجزت عن الاتيان بمثله لأنه أتى بلغة لا يعرفونها .

ويمكن أن نرد هذا الرأي ونقول بأن القرآن نزل بلغة هؤلاء القوم التي دخلت مثل هذه الألفاظ في لغتهم قبل نزول القرآن فكان الناس يستعملونها قبل نزوله ، ولو أتى بألفاظ جديدة لم يسمعوها من قبل لكان ذلك غريباً عليهم ، لذلك فهي جزء من لغتهم المستعملة . وأن قسماً من تلك الألفاظ التي كان يتداولها العرب هي غير عربية الأصول استعملها العرب بعد ما وردت إليهم مع الأشياء التي اقتبسوها من شعوب أخرى اختلطوا بهم لظروف مختلفة .

والقسم الآخر أقرّ بوجود ألفاظ معربة في القرآن منهم الصحابي ابن عباس (ت ٦٨هـ) والامام زيد بن علي (ت ١٢٠ هـ) وآخرون .

وحجة من يرى وجود الألفاظ الأعجمية في القرآن هي أن الكلمات القليلة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً ، فالفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية .

وذهب رأي ثالث إلى موقف وسط بين الرأيين إذ صدّق القولين ويتمثل بقول أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وأيّده في ذلك الجواليقي وابن الجوزي وأبو منصور الأزهري الذي قال : "ان الاسم قد يكون أعجمياً فتعربه العرب فيصير عربياً "(٨٢).

وقد اتبع العرب قديماً أسلوباً خاصاً في تعاملهم بالألفاظ الأعجمية وذلك يتمثل بالتغييرات التي يجرونها على الألفاظ الأعجمية فنال الحرف فيها القسط الأكبر من الاهتمام ثم شمل التغييرات المتعلقة ببناء الألفاظ .

ففي الأصوات نبّه سيبويه على بدائل الأصوات للألفاظ الأعجمية وضرب أمثلة من (اللغة الفارسية التي أعارت ألفاظاً غير قليلة للغة العربية مما جعل سيبويه يخصص باباً سماه " باب اطراد الإبدال في الفارسية " وعلل الجواليقي سبب الإبدال بقوله " الإبدال لازم لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم " . وهذا السبب الصوتي أيدته الدراسات اللغوية الحديثة(٩١) كونها المعيار الأول لتحديد أصالة الكلمة من عدمها من الناحية الاشتقاقية .

وكان العربي لا يميل إلى نطق الحروف غير العربية نطقاً بعيداً عن طبيعة العربي في استعماله للمخارج . ممّا اضطر لإبدالها بحروف أخرى مناسبة في نطقها لما اعتاد عليه العربي في النطق بحسب مخارج حروف اللغة العربية .

الهوامش:

(١) ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة : ١٦٣.
(٢) المعرب للجواليقي: ٥١ .
(٣) شفاء الغليل للشهاب الخفاجي : ٧٥، ٢٩٠.
(٤) المزهر للسيوطي: ٢٦٩/١ .
(٥) ينظر العين : ١١٨/٦ ، اللسان: (جرم)
(٦) المزهر : ١/ ٢٦٩ .
(٧) كلام العرب ، د. حسن ظاظا :٧٢ .

(٨) ينظر المزهر: ٢١٢/١ .
(٩) السابق : ٢١٢/١ .
(١٠) المعرب ٥٧-٥٨ .
(١١) البيان والتبيين ١٨/١ .
(١٢) غرائب اللغة ١٧٠-١٧١ .
(١٣) أثر الدخيل : ٣٧٨ .
(١٤) المصدر السابق .
(١٥) نفسه .
(١٦) غرائب اللغة : ١٧٠ و أثر الدخيل ٣٧٨ .
(١٧) غرائب اللغة : ٢٨٦ .
(١٨) المعجم العربي: د. حسين نصار:٨٥-٩٠ .
(١٩) الكتاب : ٣٠٣/٤ .
(٢٠) شفاء الغليل :٢٣٠ .
(٢١) الصحاح : ١٧٩/١ .
(٢٢) الرسالة : ٤١ .
(٢٣) مجاز القرآن ، لأبي عبيدة : ١٧/١-١٨ .
(٢٤) تفسير الطبرى : ٢١/١٧ .
(٢٥) الصاحبى : ٤٣ .
(٢٦) سورة يوسف : ٢ .
(٢٧) سورة فصلت :٤٤ .
(٢٨) الرسالة : ٤١ .
(٢٩) مجاز القرآن : ٨/١ .
(٣٠) تفسير الطبرى : ٢١/١٧ ، والاتقان : ١٠٥/٢ .
(٣١) الصاحبى : ٦٢ .
(٣٢) الاضداد لابن الأنبارى : ٣٨ .
(٣٣) ينظر ظاهرة الغريب في اللغة للامام زيد بن علي : ١٩٤ .
(٣٤) المزهر :٢٦٨/١ .
(٣٥) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطى :١٩٣ .
(٣٦) المصدر السابق .
(٣٧) الصاحبى : ٦١ ، المهذب :١٩٦ ، الاتقان للسيوطى :١٠٨/٢ .
(٣٨) المعرب : ٥٣ .
(٣٩) السابق .
(٤٠) فنون الأفنان لابن الجوزى : ٢ب (مخطوط مكتبة الأوقاف ، بغداد رقم ٢٤١٢).
(٤١) اللسان : (تنز) و تفسير الرازي :٦٥٨/٦.
(٤٢) فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب : ٣٦١ .
(٤٣) معاني القرآن ، الفراء :٢٣٨/٣ .
(٤٤) المتوكلي : ١٦٠ .
(٤٥) المساعد : ١/ ٩٧ .
(٤٦) غرائب اللغة :١٧٢ .
(٤٧) معاني القرآن : ١٢٣/٣ .
(٤٨) المعرب : ٧١ .
(٤٩) غرائب :٢١٦ .

(٥٠) الألفاظ الفارسية المعربة : ٦.
(٥١) المتوكلي : ٧٤ هامش المحقق .
(٥٢)الكتاب : ٣٠٥/٤ .
(٥٣) المعرب : ٥٤ .
(٥٤) ينظرعلم اللغة العربية د. حجازى: ١١٢.
(٥٥) كلام العرب : ٧٠ .
(٥٦) علم اللغة العربية، د. حجازى : ٢١٢ .
(٥٧) ينظر في ذلك الكتاب : ٣٠٥/٤ ، والمعرب : ٥٥ ، وفصول في فقه اللغة : ٣٦٣ .
(٥٨) المصدر السابق .
(٥٩) نفسه.
(٦٠) بروكلمان : فقه اللغات السامية :٤٨ ، د. ابراهيم أنيس ، الأصوات : ٣٦٣ .
(٦١) الكتاب : ٤/ ٣٠٥ .
(٦٢) الصحاح : ٣٤١/١ .
(٦٣) الزينة في الكلمات الاسلامية للرازى :٤٨/١ .
(٦٤) ينظر الكتاب :٣٠٦/٤ ، والمعرب :٥٥ .
(٦٥) الكتاب : ٤/ ٣٠٦ .
(٦٦) المعرب : ٥٥ .
(٦٧) الكتاب : ٣٠٦/٤ .
(٦٨) المعرب : ٥٦ .
(٦٩) الكتاب : ٣٠٣/٤ .
(٧٠) المعرب :٥٧ .
(٧١) الكتاب : ٣٠٣/٤ .
(٧٢) المعرب :٥٦ .
(٧٣) الهجرع : الاحمق ، السهلب : الطويل ، الدّيماس: الحمام .
(٧٤) الكتاب : ٣٠٤/٤ .
(٧٥) المصدر السابق ، وانظر المعرب : ٥٦ .
(٧٦) المعرب : ٥٦ .
(٧٧) الكتاب : ٣٠٤/٤ .
(٧٨) ينظر رسالة تعريب لفظ الأعجمي ،لابن الوزير : ٣ أ(مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق) .
(٧٩) ينظر في ذلك المعرب : ٥٩ ، المزهر : ٢٧٠/١ ، و الاقتراح للسيوطي: ١٣ ، وفقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي : ٢٠٠ ، وفصول في فقه اللغة : ٣٦٣ ، وفقه اللغة، د. عبد الله العزازي :٢٠٨.
(٨٠) شفاء الغليل : ٢٨ .
(٨١) المزهر : ٢٧٠/١ .
(٨٢) السابق : ٢٧١/١ .
(٨٣) الداذى : شراب .
(٨٤) المزهر : ٢٧٢/١ .
(٨٥) شفاء الغليل : ٢٨ .
(٨٦) السابق : ٢٨ .
(٨٧) نفسه : ٢٧٤
(٨٨) أثر الدخيل على العربية الفصحى : ٩٠ .

(٨٩) اللغة العربية كائن حي ، جرجي زيدان:٤-٤١ .
(٩٠) اللسان : (تنر) وتفسير الرازازي: ٦٥٨/٦.
(٩١) ينظر علم اللغة ، د. محمود فهمي حجازى ص١١٢ .

المصادر والمراجع:

١. الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة ، ١٩٦٧م) .
٢. أثر الدخيل على العربية الفصحى ، د. مسعود بوبو (دمشق ، ١٩٨٢).
٣. الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس (الطبعة السادسة ، القاهرة ، ١٩٨١م).
٤. الأضداد في اللغة ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنبارى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (الكويت ١٩٦٠م).
٥. الاقتراح في علم أصول النحو ، للسيوطي (دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٩هـ).
٦. البيان والتبيين . لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ، ١٩٤٨م).
٧. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) طبعة بولاق سنة ١٢٧٨هـ .
٨. تفسير الطبرى (جامع البيان في تفسير القرآن) لمحمد بن جرير الطبرى (القاهرة ، ١٩٥٤م).
٩. دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة د. كمال بشر (القاهرة ، ١٩٦٢م).
١٠. الرسالة ، للإمام الشافعي ، تحقيق أحمد شاكر (طبع الحلبى ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ).
١١. الزينة في الكلمات الاسلامية ، للرازى ، تحقيق د. حسين الهمذاني (القاهرة ، ١٩٥٧م).
١٢. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، للشهاب الخفاجي ، تحقيق: د. قصي الحسين (الطبعة الأولى ، طرابلس ، لبنان ١٩٨٧م).
١٣. الصاحبي في فقه اللغة ، لاحمد بن فارس ، تحقيق الشويمى (بيروت ١٩٦٣م).
١٤. الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (بيروت ، ١٩٧٩م).
١٥. ظاهرة الغريب في اللغة مع تحقيق تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي ، د. جسن محمد تقي سعيد (رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ١٩٨٧م).
١٦. علم اللغة العربية ، د. محمود فهمي حجازي (وكالة المطبوعات ، الكويت ، لا.ت).
١٧. العين (كتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى ، تحقيق د. مهدى المخزومى ، د. إبراهيم السامرائى (بغداد ١٩٨٠م).
١٨. غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخلة (الطبعة الثانية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠م).
١٩. فصول في فقه اللغة ، د. رمضان عبد التواب (طبع دار الجيل ، القاهرة ، ١٩٨٠م).
٢٠. فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، ترجمة د. رمضان عبد التواب (جامعة الرياض ، السعودية ١٩٧٧م).
٢١. فقه اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي (القاهرة ، ١٩٥٦م).
٢٢. فقه اللغة العربية ، د.عبد الله العزازي (المطبعة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٧م).
٢٣. فنون الأفنان لابن الجوزى ، (مخطوط بمكتبة الأوقاف بغداد رقم ٢٤١٢).
٢٤. قاموس المحيط للفيروزآبادي ، المؤسسة العربية للطباعة ، بيروت (لا.ت)
٢٥. كتاب سيبويه ، لأبي عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق د. عبد السلام هارون (الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥م).
٢٦. كلام العرب ، د. حسن ظاظا (دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦م).
٢٧. لسان العرب لابن منظور (بيروت ، دار صادر).

٢٨. اللغة العربية كائن حي ، جرجي زيدان ، مراجعة د. مراد كامل (دار الهلال بالقاهرة ، لا.ت).
٢٩. معاني القرآن للفراء ، تحقيق د. عبد الفتاح اسماعيل ، الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة ١٩٧٢.
٣٠. مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، تحقيق د. فؤاد سزكين (القاهرة ، ١٩٥٤-١٩٦٢).
٣١. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، لا.ت).
٣٢. المعجم العربي ، د. حسين نصار (دار مصر للطباعة ، القاهرة ، لا.ت).
٣٣. المعجم المساعد ، الأب أنستاس الكرملي ، تحقيق كوركيس عواد ، دار الحرية،بغداد ١٩٧٢ .
٣٤. المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقى ، تحقيق أحمد شاكر (طبع دار الكتب المصرية ، ١٩٦٩م).
٣٥. المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، تحقيق د.عبد الله الجبورى ، بيروت، ١٩٨٢م).

Arabicized and Peregrinism in Arabic Language

Dr. Monaf Mahdi Al-Moussawy*

*** Arabic Language Dept. – College of Education for Women Al-Kofa University**

Abstract:

The process of linguistic transposition became one of the solid facts without any doubt as a result of cultural intermixing.

Any language has a great concernment, deep rooted civilization and a great historical background will be exposed to such linguistic transposition, because it is impossible to complete a cultural interchange process without linguistic transposition at the same time.

The Arabic language as other vital and active languages sought self protection by lingual borrowing from other people's languages, those who the Arab got direct contact with, and they interchange their goods and what they need as agricultural and industrial products from Persian, India, Coptic and others, and most of the imported goods was not have a name in Arabic, so they have been

urged to use their original names if they could not found a synonym in Arabic language, so they translate those words which can be translated using scaling, deriving, and figurative expression methods for that. When they could not found the suitable word from their own, they tried to give the name an Arabic shape by controlling them with Arabic linguistic systems, and this is what they called (Arabicized).

In case they have not changed the original word structure and pronunciation, they call it (Peregrinism).

In short, arabicized is the word that has a substitution in some of its sounds or changes in its structure, so it becomes far different from its original shape. And Peregrinism is the word which kept unchanged.